بحوث قسم الفلسفة

وسائل تحقيق اليقين عند الحارث المحاسبي وسهل بن عبد الله التستري

بحث مقدم لنيل درجة التخصص الدكتوراه) في الفلسفة الإسلامية والتصوف

الباحث/سامح حسان عبد الفتاح محمد كسبة

إشراف

أ.د/عـامر يـاسين النجـار
أستاذ الفلسفة الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة قناة السويس

أ.د/ عبد الحميد درويش عبد الحميد
أستاذ الفلسفة الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة قناة السويس

الملخص:

يعتبر كبار علماء الصوفية من الأئمة الذين ساروا في طريقهم على الكتاب والسنة، وشهد لهم جميع علماء زمانهم بالعلم والتقوى، كالزهور والثمار كل واحد منهم له لون مختلف من الرائحة والطعم. وقد خصهم الله بأن بجعلهم أهل القرب منه، ومنهم الحارث بن أسد المحاسبي وسهل بن عبد الله التستري. لقد ترك الحارث المحاسبي كتابات تمثل الأسس التي اعتمد عليها كثير من المربين والصوفية، وظهر أثرها على كثيرين منهم، ومن أهم من تأثرهم بالمحاسبي الجنيد والغزالي. لقد استمر تأثير المحاسبي على مر العصور والأزمنة. وسهل التستري لا يقل أهمية عن المحاسبي فهو يمثل محورا هاما في دراسة اليقين، وهو الشيخ المكين، والناصح الأمين، إنه صاحب القلب الساجد لله رب العالمين في البداية فكيف به بالنهاية؟ حقيق بأن نقف معهم لنتعلم منهم اليقين، وكيف نصل إليه؟ إن المنهج الذي وضعه الحارث المحاسبي وسهل بن عبد الله التستري للوصول إلى اليقين، يعد منهجا يخرج به الإنسان من الشك والحيرة إلى اليقين، هو منهج لا يستطيع أن يخبر بها إلا القليل ممن لهم قدم راسخة أو تجربة حقيقية مع اليقين، وقد اعتمدوا على المنهج الوسطي

المعتدل للوصل إلى الكمال الديني من خلال الروحانية العميقة للعبادات، والتماس الإيمان والمعرفة عن طريق التصفية والمكاشفة.

SUMMARY

Al-Harith Al-Muhasabi left writings representing foundations that many educators and Sufis relied on, and their impact appeared on many of them, and among the most important who were influenced by Al-Muhasabi Al-Junayd and Al-Ghazali This great impact of the Al-Muhasabi has continued throughout the ages and times; It is considered one of the most important models that must be followed by those who follow it, because of its practical approach to the seeker on his way to reach the truth and certainty. Sahel Al-Tustari is no less important than Al-Muhasabi, as he represents an important focus in the study of certainty, and he is the faithful sheikh, and the faithful advisor. Is it true that we stand with him to learn certainty from him, and how do we reach him? The approach laid down by Al-Harith Al-Muhasabi and Sahel Bin Abdullah Al-Tastari to reach certainty, is a method by which man comes out of doubt and confusion to certainty. Moderate to reach religious perfection through the deep spirituality of worship, and seeking faith and knowledge through filtering and disclosure.

يشتمل البحث على:

مقدمة وفصلين وخاتمة.

- **مقدمة: التعريف بالبحث وأهميته.**
- **الفصل الأول: وسائل تحقيق اليقين عند الحارث المحاسبي.**
- **الفصل الثاني: وسائل تحقيق اليقين عند سهل بن عبد الله التستري.**

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أحمدك اللهم ربي حمدا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك كما تحب ربنا وكما ترضى، فإنا عن القيام بحق حمدك عاجزون، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ρ الذي شرح الله صدره وغفر ذنبه ورفع ذكره، صلوات الله وسلامه وتحيته ورحمته وبركاته على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه، عدد الشفع والوتر وعدد كلمات ربنا التامات المباركات ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

التعريف بأهمية البحث:

يعد أعلام التصوف من الأئمة الكبار، الذين ساروا في طريقهم على الكتاب والسنة، وشهد لهم جميع علماء عصرهم بالعلم والورع، كالأزهار والثمار تجد عند كل منهم لونا مختلفا من العطر والمذاق، المشرب واحد يسقى بماء واحد والأكل متعدد، وما ذاك إلا لأنهم أخلصوا لله تعالى رب العالمين، فخصهم الله بأن جعلهم أهل القرب والولاية، ومن هؤلاء الحارث بن أسد المحاسبي و سهل بن عبد الله التستري الذي لا يختلف في إمامتهم ولا ينكر فضلهم أحد من أهل العلم المعتبرين الصادقين، وقد ترك الحارث المحاسبي كتابات تمثل أسسا اعتمد عليها كثير من المربين والصوفية وظهر أثرها في كثير منهم، ومن أهم من تأثر بالمحاسبي الجنيد والغزالي وهذا الأثر الكبير للمحاسبي ظل ممتدا على مر العصور والأزمنة؛ فإنه يعد من أهم النماذج التي يجب أن يقتدي به السالكون وذلك لما وضعه من منهج عملي للمريد في طريقه للوصول إلى الحق واليقين، وكيف يصل إليه؟ وهذا ما سيأتي بيانه مع المحاسبي في هذا البحث.

وسهل بن عبد الله التستري، لا يقل أهمية عن المحاسبي فهو يمثل محورا هاما في دراسة اليقين، وهو الشيخ المكين، والناصح الأمين، من أعاظم المشايخ المشهورين، لم يبرز للناس حتى وقع الإذن له من الله، زيَّن طريق الصوفية بقلائد فوائده، إنه صاحب القلب الساجد لله رب العالمين في البداية فكيف به بالنهاية؟ حقيق بأن نقف معه لنتعلم منه اليقين، وكيف يصل إليه المريد ؟ وهذا ما سيأتي في هذا البحث أيضا بإذن الله تعالى.

هذا، والله ولي التوفيق. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الأول: وسائل تحقيق اليقين عند الحارث المحاسبي

يعتبر القرآن الكريم هو المصدر الجامع لكافة دلائل النقل التي اعتمد عليها الصوفية وكذلك فلاسفة الإسلام وعلماء الكلام، وقد قدم الإمام المحاسبي المنهج العملي في التعامل مع كتاب الله تعالى للوصول إلى اليقين وأول شيء أشار إليه هو كيفية التعامل مع ما جاء في كتاب الله تعالى من أوامر ونواهي؛ فقال: "واعلم أن فريضة كتاب الله: العمل بحكمه من الأمر والنهي، والخوف والرجاء لوعده ووعيده، والإيمان بمتشابهه، والاعتبار بقصصه وأمثاله، فإذا أتيت بذلك فقد خرجت من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن عذاب الشك إلى روح اليقين" [١]. وقد نستمع إلى من يكرر نفس هذه العبارات، لكن لا يستطيع أحد أن يقدم المنهج أو الخطوات العملية لتنفيذ هذه العبارات، إلا القليل ممن لهم قدم راسخة أو تجربة حقيقية مع كتاب الله.

أولا: كتاب الله تعالى:

قد وضح الإمام المحاسبي الطريق لظهور اليقين في قلب العبد وعمله أقصد هنا ظهور حقيقي عملي) وذلك من خلال كلام رب العالمين، فحين سئل: كيف أجمع عقلي؟ قال: بأن لا تشغل جوارحك بما لا يشتغل به عقلك، وأن تستعمل كل جارحة بما يعينك على الفهم، كنظرك في مصحف واستماعك إلى تلاوتك أو تلاوة غيرك، وتمنع عقلك من فكر وذكر يقوى طلب فهم كلام مولاك؛ لأنك إذا لم تشغل جوارحك بشيء غير ذلك، ومنع عقلك عن النظر والفكر في غير ذلك؛ اجتمع همك وحضر، وإذا حضر عقلك زكا ذهنك، وإذا زكا ذهنك قويت على طلب الفهم واستبان فيه اليقين، وصفا فيه الذكر، وقوي فيه الفكر [٢].

وذكر المحاسبي أن القرآن الكريم مرتبط باليقين والطمأنينة إذا عاش المؤمن معه بقلبه، وعندما يتحدث المحاسبي عن القرآن الكريم تشعر أنك تسمع كلاما لأول مره يهز القلب، لقد عاش المحاسبي مع القرآن الكريم باليقين، يقول المحاسبي: " فلو ذاب أهل السموات والأرض حين يسمعون كلام الله أو ماتوا خمودا أجمعون لكان ذلك حق لهم ولما كان ذلك كثيرا؛ إذ تكلم الله به تكليما من نفسه من فوق عرشه من فوق سبع سمواته، فإذا عظم في صدرك تعظيم المتكلم به، لم يكن عندك شيء أرفع ولا أشرف ولا أنفع ولا ألذ ولا أحلى من استماع كلام الله جل وعز، وفهم معاني قوله تعظيما وحبا له وإجلالا، إذ كان تعالى قائله فحب القول على قدر حب قائله "[٣]

ثانيا: النية والإرادة الصادقة:

النية الصادقة يراها المحاسبي مرافقة لكل عمل صالح، ولكل معرفة: فلا تكون النية إلا بالمعرفة، ولا تكون المعرفة إلا بنية، ولا تستغني إحداهما عن الأخرى، فجد واجتهد في صلاح نيتك، فإن بها تدرك الخلاص والإخلاص، وليست النية الصادقة وحدها هي التي ترافق العمل والمعرفة، فحيثما كانت صحبها الهوى والشهوة، وكلهم يردون على القلب، والمحاسبي ينصح بتخليص النية من جميع الآفات، فيقول: فاقصد إلى نيتك ونقها من جميع الآفات، من الله علينا وعليك بمعرفة النية، وصلاحها من جميع العيوب، ويقول:" فعليك بصلاح نيتك، فإن بها صلاح آخرتك ودنياك جميعا، فاقصد أول ما تقصد إلى نيتك، فإنما العزم بالنية، ولا يصل إليك شيء من معرفة الرب تبارك وتعالى إلا به، فعليك بنيتك فإنه عمل خفي فيما بينك وبين الله تعالى، فلا تعمل شيئا إلا بنيتك"[٤]

ويؤكد المحاسبي على أن الصدق في النية لا يأتي بعد حسن القصد والإقبال إلا بتوفيق الله تعالى، فهو سبحانه وحده قادر على ذلك قال المحاسبي: " إن الله قادر على أن يسخر الهوى للصدق، وإن كان فقليل، والذي يعرف هذا القليل في الناس هم قليل، والذي يجهله كثير؛ لأن الإرادة للعمل قبل العمل، والهوى والشهوة مما يلي العمل، والنية والصدق من ورائهما وعلى ذلك فإنه كلما أراد العبد، أو هم بالعمل من قريب أو بعيد ابتدر الهوى والشهوة، والنية الصادقة فيهما إلى القلب بذكر ما يرجى وما يؤمل من مثل ذلك العمل من حاجات الدنيا وشهواتها،

ومنافعها ومرافقها ولذاتها، وما يؤنس بمثله من الأشياء، وما حَسُن موقعه من الناس، وذكرهم له بالثناء، والمحمدة، والقدر، والجاه، والرفعة، والرئاسة" [٥].

وأكد المحاسبي أن الإرادة الصادقة هي تلك التي تجعل العبد يميز بين العمل من أجل الهوى والشهوة، والعمل ابتغاء وجه الله تعالى، ويفرق بين غياب الإرادة الصادقة وحضورها فيقول:"والإرادة الصادقة بعد غائبة، وما دامت غائبة فالقلب يقبل هذه الأشياء لا يرد منها شيئا؛ لأنه لا بد أن يكون للقلب أمل في هذا العمل الذي أراده وهم به، والإنسان أكثر شيء نسيانا وأكثر النسيان في ذلك الوقت؛ لأن هذه الأشياء التي جاءت بها النفس والهوى إلى القلب – مما ذكرنا من الثناء والمحمدة والرفق والقدر والجاه والرئاسة والمنزلة – كلها مما يتحلى به القلب ويشتهيه ويرغب فيه؛ فلذلك تكثر الغفلة والنسيان للإرادة الصادقة، ولو كان مكان الذي يستحليه القلب ويشتهيه مرارة وكراهية لما كان يقبل النسيان والغفلة ولكن حيث جاءت الموافقة سكن القلب إلى هذه الخلال" [٦].

وتتحقق المعرفة الحقيقية حين تكون الإرادة الصادقة أمام الهوى، وشهوة النفس، وذلك يتحقق بالتوفيق الإلهي للعبد بعد الطلب قال المحاسبي:" فمن شاء الله أن ينعم عليه حتى تكون الإرادة الصادقة أمام الهوى وشهوة النفس، وحتى يريد بالعمل وجه الله والدار الآخرة، ففي هذا يكون شغل القلب عند ذلك وفيما يؤمل فيه من رضى الله وثوابه، وما جاءت به النفس والهوى مما ذكرناه لم يقبله القلب، ورده عليهم ففي هذا أعظم النعم وعلى صاحبه أكثر الشكر" [٧]. وإن كان العكس فعلى صاحب الإرادة الوقوف للنظر والفكر الكثير حتى ينقي قلبه [٨]، يقول المحاسبي:" وإن كانت النفس والهوى والشهوة سابقات على الإرادة الصادقة، فلا بد لصاحبها من الوقوف والنظر والفكر؛ حتى ينقي قلبه مما عرضت به النفس والهوى والشهوة، ويجعل إرادة الله مكان ذلك وأمامه فيقبله القلب ساءه أو سره، ثم يتحفظ ويتعاهد حتى يختم العمل الذي افتتحه بالإرادة الصادقة بمثل ذلك، وبعد فراغه من العمل ما دام الروح في جسده [٩]

وهذا الأمر يعتبره المحاسبي من أصعب درجات الوصول في المعرفة، وتصحيح العمل لله تعالى، بل هو عنده أشد من نقل الصخر، فيقول: واعلم أن إحكام هذا أعز وأشد من نقل الصخر، وركوب الأسنة إلا من رزقه الله إحكام ذلك، والعناية به مخافة تلف نفسه، وإحباط

عمله؛ لأن العدو ملح مجد محتال له في ادخال الآفات التي تفسد الأعمال، فهو يرصده قبل دخوله في العمل وبعدما يدخل فيه وبعد ما يخرج منه [١٠]

ورغم ذلك كله فإنه ربما يعرض العدو للإنسان بعد تقديم الإرادة الصادقة والنية الصادقة، ونفي الهوى، ومخالفة الشهوة، فإن صده بعد دخوله في العمل فعرض له بما ذكرنا من الآفات التي تفسد الأعمال، فإن قبلها حتى يختم العمل بقبولها فسد عليه أصله الصحيح الذي كان قد أصل ودخل بها في العمل. وإن هو لم يقبل ما عرض له به في العمل ونفاه ودفعه لم يضره ذلك شيئا. وإن هو قبله ثم انتبه قبل أن يفرغ من العمل فندم ورجع وتيقظ وأزال الغفلة ثم ختم العمل بالندم لم يضره ذلك شيئا [١١]

ثالثا: المراقبة والمناجاة:

كان المحاسبي شديد الحرص على مراقبة وتنقية الباطن وذلك لأن الباطن هو الذي يؤثر على الظاهر فقال: من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة لقوله: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا} [العنكبوت: ٦٩] [١٢] وقد جمع المحاسبي بين المراقبة والمناجاة واليقين فقال: فالمناجاة والمراقبة من حيث تضع قلبك وهو أن تضعه دون العرش فتناجي من هناك وفي رد القلب إلى المراقبة مراجعتان أولاهما: مراقبة النظر مع تذكر العلم قال تعالى {إنه عليم بذات الصدور} وقال تعالى {يعلم ما في أنفسكم فاحذروه}

ثم تذكر العظمة لوجود الحلاوة، والقول الآخر يروى أن الله سبحانه أوصى إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم تدري لم اتخذتك خليلا قال لا يا رب قال لطول قيامك بين يدي قال فقيل إنما كان قيامه بالقلب وليس بالصلاة وهذا يوافق القرآن قال تعالى {إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار} [١٣] وقول حارثة كأني انظر إلى عرش ربي بارزا [١٤]

وإذا نظرنا إلى ما ذكره المحاسبي عن المراقبة يتبين لنا كيف جمع بين المراقبة واليقين، فقال: يروي عن بعض الحكماء أنه قال إن من أشرف المقامات وأفضلها المراقبة لله ومن احسن المراقبة أن يكون العبد مراقبا بالشكر على النعم والاعتراف بالإساءة والتعرض للعفو عن الإساءة فيكون

قلبه لازما لهذا المقام في كل أعماله فمتى ما غفل رده إلى هذا بإذن الله ومما يعين على هذا ترك الذنوب والتفرغ من الأشغال والعناية بالمراجعة ومن أعمال القلب التي يزكو بها ولا يستغني عنها الإخلاص والثقة والشكر والتواضع والاستسلام والنصيحة والحب في الله تعالى والبغض فيه [١٥]

مراقبة الله تعالى عند كل عمل: المراقبة عند المحاسبي من الأمور الجليلة في طريق تحقيق اليقين، وهي عنده درجتان: بداية، والمراقبة فيه: علم القلب بقرب الله ، وهذا هو أول المراقبة، ولا يسمى العبد فيه مراقبا.

وإنما يسمى مراقبا في الدرجة الأخرى من المراقبة، وتعني عند المحاسبي: دوام علم القلب بعلم الله عز وجل، في سكونك وحركتك علما لازما للقلب بصفاء اليقين وكشف غطاء حجب الظلم، غير قاطع عن النظر بمشاهدة الغيب، فعندها تغيب أسباب الغفلة عن القلوب بدواهيها، فيعقل عن الله تعالى نصائح الحكمة بما فيها، ويكشف له اليقين عما فات منها، ويصل العبد لهذه الحالة بقطع علائق الأشغال ولزوم العلم، والتعاهد بالعناية والرعاية) [١٦]

ويرجع المحاسبي أهمية المراقبة في هذا الباب لسبب كثرة الخداع والغلط، والخطأ والعمد، والنسيان والفتن والبلايا، وغيرها كثير، فإن الآفات أكثر من أن يضبطها الكتاب، وصحته أعز من أن يبلغها الآمن المخدوع المغتر بظاهر الكتاب، وظاهر العلم، وإنما يدرك ذلك كله ويعرفه أهل العناية بأنفسهم الذين خافوا على أعمالهم أن تبطل، وخافوا على أنفسهم أن تتلف، ولا ينبغي لعاقل أن يفتر عن مفاتشة همته، ومحاسبة نفسه، ونقاء ضميره ومراقبة الله سبحانه وتعالى عند كل عمل يريد أن يعمله وإلا فهو مخدوع، والله نسأل التوفيق والفهم والعزم الصحيح والإرادة الصادقة [١٧]

والمراقبة أيضا تجمع في طياتها محاسن كثيرة، فقد طلب السائل من المحاسبي أن يدله على حالة تثبته في التواضع، وتجمع له الرعاية، وتمزج السرور بالمقدور، وتسقط عنه كثيرا من الإعجاب، وتدخل عليه منها مطالع الامتناع عن كل سبب يجر إلى دواعي فتنته. فأجابه: إن الحالة التي تجمع لك الحالات هي كلها في حالة واحدة هي المراقبة، فألزم نفسك وقلبك دوام العلم بنظر الله إليك في حركاتك وسكونك وقعودك، وذهابك ومجيئك، فإنك بعين الله عز وجل في جميع منقلبك، وإنك في قبضته حيث كنت، وإن عين الله على قلبك، فناظر إلى سرك

وعلانيتك ومن أشرف العبادة: أن تراقب الله سبحانه بما يحب الله، فإذا فترت عن ذلك راقبته فيما يكره ملتمسا العود إلى الحالة الأولى التي كنت عليها حريصا على ذلك، فيحدث لك حينئذ إليها حنين شديد، فإنه إذا رآك كذلك تحن وتحرص رد عليك ما سلبك [١٨]

رابعًا: الاعتبار والمعرفة:

الاعتبار: يعرفه المحاسبي بأنه: الاستدلال بالشيء على الشيء، وهو أن تنظر بقلبك إلى الشيء المتقن، فيلحق قلبك التعجب من نفاذ القدرة، وإتقان الصنع، وحسن التدبير فيه، ثم لم تقع عينك على شيء إلا دلك الشيء على غيره [١٩]

وبالاعتبار يزداد الباحث معرفة، ويزداد المؤمن إيمانا؛ فبالاعتبار يدلك المخلوق على الزيادة في معرفة الخالق، ويدلك المصنوع على الزيادة في معرفة الصانع؛ ليكون منك التعظيم له، وتزداد في معرفة القدرة، فتنظر إلى الأشياء بعد ذلك بخالقها، وإلى المصنوع بصانعه، وإلى المفطور بالفاطر، فتنظر إلى الأشياء بعواقبها، ثم يدلك وجود ما علمت منها على الشيء المغيب عنها، أنه أعجب مما رأيت وعلمت، وأن ما علمت عند ما لم تعلم كلا شيء في لا شيء [٢٠] , والناس متفاوتون في الاعتبار (على قدر صحة العقول، وقوة الإيمان) وهم متفاوتون كذلك على قدر طهارة القلوب؛ لأن مخرج الاعتبار من القلب، فإذا خرج من قلب طاهر نفذ في الغيب، وسمت به الهمة، وتراقى به الفكر، ولم يمنعه مانع من الأدناس، فوافق مراد القلب، وصفى معرفة النفس) والاعتبار يكثر ويثمر بالتفكر، وإذا قل التفكر قل الاعتبار بالتبعية، فإنه لا غناء بالعبد عن التفكير والنظر والذكر ليكثر اعتباره، ويزيد في علمه، ويعلو في الفضل، فمن قل تفكره قل اعتباره، ومن قل اعتباره قل علمه، ومن قل علمه كثر جهله، وبان نقصه، ولم يجد طعم البر، ولا برد اليقين، ولا روح الحكمة) فصحة الاعتبار وسيلة من وسائل تحقيق المعرفة للوصول لليقين، وذلك لأن الاعتبار عند المحاسبي يقوم مقام المشاهدة والعيان طالما كان صادقا، وبه ينصح المحاسبي دائما عند كل معرفة، فيقول: واستعن في أمرك كله بالاعتبار؛ فإن الأمر لا يزال مستورا منك، أو غائبا عنك فإذا نظرت إليه نظر المعتبر كاد أن يقوم لك الاعتبار مقام المخبر المعاين لما قد غاب عنك، ومقام الكاشف لك عن المستور عنك، حتى تنظر إلى زين الأمور وشينها وحسنها وقبيحها، وتعرف من أين صار

الحسن حسنا، والقبيح قبيحا، فتتبع من ذلك ما فيه نجاتك، وتجتنب ما فيه هلكتك وتعرف الناس بالاعتبار على منازلهم في لحن القول، ولحن الفعل، وتعرفهم) وتعرف منازلهم ومذاهبهم بنور الاعتبار ومواهب الإلهام إن شاء الله تعالى [٢١]

الاستكثار من المعرفة: يرى المحاسبي أن ليس للمعرفة حد تنتهي إليه، بمعنى أن يعتقد الباحث أنه قد اكتفي معتقدا أنه وصل لمراده، فيجب الاستكثار من المعرفة كوسيلة من الوسائل التي تحقق اليقين المعرفي، يقول المحاسبي: فاستكثر من المعرفة ما قدرت فليست المعرفة كالعمل، للعمل حد ينتهي إليه، وليس للمعرفة حد تنتهي إليه؛ لأنك تريد بالمعرفة استكمال أمر الله، وإقامة حقه، ولا يبلغ ذلك أحد؛ لأنه سبحانه وتعالى أجل وأعظم من أن يبلغ الآدميون كنه حقه، غير أنهم يتباينون فيه بزيادة المعرفة ونقصانها مع المعرفة والأُنس والروح والفرح والراحة؛ لزيادتها نعمة من الله ونقصانها عقوبة من الله بذنب أو تضييع شكر [٢٢] .

الفصل الثاني: وسائل تحقيق اليقين عند سهل بن عبد الله التستري

أولاً: التقوى:

ويؤكد التستري على العلاقة الضرورية بين التقوى وإدراك اليقين: بين سهل دور التقوى في الوصول إلى اليقين فقال: على قدر قربهم من التقوى أدركوا اليقين [٢٣]، وفي تفسير آيات التقوى بين المقصود منها فقال في قوله تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ) سورة الطلاق الآية :٢، ٣، قال: التقوى التبري من الحول والقوة، والأسباب كلها دونه بالرجوع إليه، يجعل له مخرجاً مما كلفه بالمعونة والعصمة من الطواف فيها [٢٤]، وورد عنه أنه قال: ومن يتق الله في إتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة أهل البدع، ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب [٢٥].

وعرف التستري التقوى أيضا بأنها ترك كل ما هو مذموم فقال: والتقوى: ترك كل شيء مذموم، فهو في الأمر ترك التسويف، وفي النهي ترك الفكرة، وفي الآداب مكارم الأخلاق، وفي الترغيب كتمان السر، وفي الترهيب اتقاء الوقوف عند الجهل. والتقوى: التبري من كل شيء سوى الله، فمن لزم هذه الآداب في التقوى فهو أهل المغفرة. [٢٦]

وربط سهل التستري بين التوكل واليقين والتقوى، وهو بذلك يبين سبب ذكر الحق سبحانه وتعالى لضمان الرزق من غير احتساب لعباده المتقين، ويدلل على ذلك بأن التقوى والتوكل لا ينفصلان، فيقول:ولا يصح التوكل إلا للمتقين، ولا تصح التقوى إلا بالتوكل، لذلك قال الله تعالى: (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ) سورة الطلاق، الآية:٣ [٢٧].

ثانياً: التوبة:

احتل موضوع التوبة من نفس سهل مكانا كبيرا، فالتوبة أول خطوة يخطوها الإنسان في معراجه إلى الله تعالى. ولعل هذا هو الذي دفع سهلا للقول بأن التوبة فرض فقال: التوبة فرض على العبد في كل نفس. وفي رأي أن هذا القول يحتاج إلى وقفة، فإن سهلا لم يقل: التوبة فرض على كل عبد، وإنما قال: على العبد فهو يقصد بذلك عبد مخصوص وهو الذي يريد أن يكون في

اتصال دائم بالله تعالى، أو العبد الذي يريد أن يصل إلى اليقين ويحيا باليقين؛ وهذا الرأي عن التوبة وغيره من الآراء الجديدة لعله هو الذي أثار عليه بعض مخالفيه وكان سببًا في خروجه من بلده إلى البصرة ووفاته بها.

وقد تأثر بهذا الرأي أيضا وقال به عمرو بن عثمان المكي حيث وضح وبين السبب من هذا القول فقال: بأن التوبة فرض على جميع المذنبين والعاصين صغر الذنب أو كبر وليس لأحد عذر في ترك التوبة بعد ارتكاب المعصية؛ لأن المعاصي كلها قد توعد الله عليها أهلها ولا يسقط عنهم الوعيد إلا بالتوبة وهذا مما يبين أن التوبة فرض [٢٨].

ستظل للتوبة أهمية كبيرة في حياة المسلم مهما اختلفت درجته وتدرجه في العبادة، فقد حث الله سبحانه وتعالى على التوبة بشتى الأساليب وفتح سبحانه أبوابها على مصرعيها، وأمر الحق سبحانه وتعالى بها في القرآن الكريم فقال تعالى:(وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) [٢٩] وحث عليها النبي الكريم في كثير من الأحاديث القدسية والنبوية بأسلوب في غاية الجمال فقال عن رب العزة سبحانه وتعالى: يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم)) [٣٠] وقال رسول الله في أسلوب مؤثر: إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل)) [٣١]

أما من الناحية العملية الواقعية، فإن رسول الله كان يتوب إلى الله ويستغفره كثيرا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)) [٣٢] وقال رسول الله: إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة)) وقال : يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة)) [٣٣] ويقول سبحانه وتعالى: (إن الله يحب التوابين) [٣٤] والله سبحانه وتعالى علق حبه على كثرة التوبة، التوبة ولو لم يكن ذنب، التوبة ولم تكن هفوة، التوبة باعتبارها عبادة، التوبة باعتبارها من الأبواب التي يدخل منها الإنسان إلى حب الله له [٣٥].

ويؤكد التستري على أن التائب توبة نصوح قد دخل في جملة الأحبة، فيقول:" إن التوبة النصوح ألا يرجع لأنه صار من جملة الأحبة، والمحب لا يدخل في شيء لا يحبه الحبيب". ثم بين علامة التائب، فقال: "علامة التائب أن لا تقله أرض ولا تظله سماء إلا هو متعلق بالعرش

وصاحب العرش حتى يفارق الدنيا ولا أعرف في هذا الزمان أقل من التوبة، إذ ليس منا أحد أتاه ملك الموت إلا ويقول: دعني أفعل كذا وكذا، دعني أتنفس ساعة". وبين التستري أن التائب المخلص الصادق يتقبل الحق تعالى منه حتى ولو تاب قبل موته بقت يسير، قال:" إن التائب المخلص ولو مقدار ساعة، ولو مقدار نفس واحد قبل موته، يقال له: ما أسرع ما جئت به صحيحا، وجئنا حيث جئت " [٣٦].

ويوضح التستري بعد أن بين ما هي التوبة النصوح وعلامات التائب والحاجة إلى التوبة أن التوبة حق من حقوق الواجبة في كل لحظة فيقول:" ليس شيء في الدنيا من الحقوق أوجب على الخلق من التوبة، فهي واجبة في كل لمحة ولحظة، ولا عقوبة عليهم أشد من فَقْدِ علم التوبة، فقيل: ما التوبة ؟ فقال: أن لا تنسى ذنبك [٣٧]". ويتضح هنا أن معنى قول التستري أن التوبة واجبة بتعريفة للتوبة بعدم نسيان العبد للذنب، وبالأخص التي بين العبد وبين ربه مما لم يطلع عليها أحد فقال: "دعوا القال والقيل كله في هذا الزمان، عليكم بثلاث: توبوا إلى الله عز وجل مما تعرفوه بينكم وبينه، وأدوا مظالم العباد التي قبلكم، فإذا أصبحتم فلا تحدثوا أنفسكم بالمساء، وإذا أمسيتم فلا تحدثوا أنفسكم بالصباح، لأن الأحداث قد كثرت، والخطر عظيم، فاتقوا الله، وألزموا أنفسكم التوبة [٣٨]" .

وبين التستري كيفية التوبة من بدايتها فيقول:" أول ما يؤمر به المبتدئ التحول من الحركات المذمومة إلى الحركات المحمودة وهي التوبة، ولا تصح له توبة حتى يلزم نفسه الصمت، ولا يصح له الصمت حتى يلزم نفسه الخلوة، ولا تصح له الخلوة حتى يأكل الحلال، ولا يصح له أكل الحلال إلا بأداء حق الله تعالى، ولا يصح له أداء حق الله تعالى إلا بحفظ الجوارح والقلب، ولا يصح له ما وصفنا حتى يستعين بالله عز وجل على جميعه [٣٩]".

ويرى سهل أن صحة التوبة لها شرط وهو الإصلاح والصلاح وبدونه تفسد التوبة، فقال:"والإصلاح صحة التوبة من لم يصلح توبته فعن قريب تفسد توبته لأن الله تعالى يقول: (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) سورة النحل، الآية رقم: ١١٩ " [٤٠] وقال: لا تصح التوبة

لأحدكم حتى يدع الكثير من المباح مخافة أن يخرجه إلى غيره، كما قالت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: اجعلوا بينكم وبين الحرام سترا من الحلال)" [٤١]

ويتضح من هذا أن الإمام سهلا رحمه الله تدرج تدرجا رائعا مع التائب وكأنه يوضح كلماته التي عبر فيها بأن التوبة فرض لمن تأمل وتدبر؛ ففي البداية عندما قيل له: ما التوبة؟ فقال: أن لا تنسى ذنبك. وقد بين القشيري في رسالته ذلك الأمر حين قارن بين قول سهل وقول الجنيد فقال: وسئل الجنيد عن التوبة فقال: أن تنسى ذنبك قال أبو نصر السراج: أشار سهل إلى أحوال المريدين والمتعرضين تارة لهم وتارة عليهم، فأما الجنيد فإنه أشار إلى توبة المحققين لا يذكرون ذنوبهم بما غلب على قلوبهم من عظمة الله ودوام ذكره [٤٢] ثم ينتقل إلى درجة أعلى وهي أن التوبة النصوح ألا يرجع لأنه صار من جملة الأحبة، والمحب لا يدخل في شيء لا يحبه الحبيب إلى أن يصل بنا إلى أن التائب لا يغفل عن الله فقال: التائب من يتوب عن غفلته في كل لمحة، بل يصل الأمر بأن يتوب من حسنته التي قصر فيها، فيقول: ما من عبد أذنب ذنبا ولم يتب إلا جره ذلك الذنب إلى ذنب آخر، وأنساه الذنب الأول، وما من عبد عمل حسنة إلا جرته تلك الحسنة إلى حسنة أخرى وبصره عقله تقصيره في الحسنة الأولى، لكي يتوب من تقصيره في حسناته الماضية وإن كانت خالية صحيحة [٤٣].

ثالثاً: التوكل:

جعل سهل بن عبد الله التوكل وسيلة من وسائل تحقيق اليقين، لقد كان يحرص على إرشاد السالكين إلى مقام التوكل حتى يصل الإنسان إلى حالة المشاهدة في هذه الحياة الدنيا بما سماه نور اليقين [٤٤].

وسئل: ما التوكل؟ فقال: التوكل طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والتبري من الحول والقوة. قيل له: ما حقيقة التوكل في الأصل؟ فقال: حقيقة التوكل في الأصل الإقرار بالتوحيد، وفي الفرع علم الساعة، وفي السكون المعاينة. ثم قال: لا تجزعوا من التوكل، فإنه عيش لأهله. قيل: من أهله؟ قال: الذين خصوا بالخصوصية. فقيل له: لو زدت لنا وضوحاً. فقال سهل: إن العلوم كلها أدنى باب من التعبد، وجملة التعبد أدنى باب من الورع، وجملة الزهد أدنى باب من ظهور القدرة، ولا تظهر القدرة إلاَّ للمتوكل، وليس للتوكل غاية ووصف يوصف به، ولا

حد يضرب له بالأمثال، ولا غاية ينتهي إليها. فقيل له: صف لنا بعضه. فقال: إن المتوكل له ألف منزل، أول منزل منه المشي في الهواء. قيل له: بماذا يصل العبد إليه؟ فقال: إن أول الأشياء المعرفة، ثم الإقرار، ثم التوحيد، ثم الإسلام، ثم الإحسان، ثم التفويض، ثم التوكل، ثم السكون إلى الحقّ جلَّ وعزَّ في جميع الحالات، وقال: لا يصح التوكل إلاَّ للمتقي. قيل: ما التقوى؟ قال: كف الأذى [٤٥] .

وقد مدح الحق سبحانه وتعالى التوكل في كتابه الكريم وأمر المؤمنين به، قال تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}[آل عمران: ١٢٢]، وقال تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: ٢٣] وقال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٣]

ويقول في قوله تعالى: {ومن يتق الله يجعل له مخرجا} [الطلاق:٢]، قال: من يتق الله في دعواه فلا يدعي الحول والقوة ويتبرأ من حوله وقوته ويرجع إلى حول الله وقوته يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه، قال: لا يصح التوكل إلا لمتق ولا تتم التقوى إلا لمتوكل لقوله تعالى:{وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين} [المائدة: ٢٣] قال: إن كنتم مصدقين أنه لا دافع ولا نافع غير الله لقوله تعالى: {ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم} [فاطر: ٢]، ودخل قوم على النبي فقال: من القوم؟) فقالوا: مؤمنون، فقال: إن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانكم؟) قالوا: الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء، فقال النبي: (فقهاء علماء كادوا من الفقه أن يكونوا أنبياء ثم قال النبي: إذا كان الأمر كما تقولون فلا تبنوا ما لا تسكنون ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله الذي إليه تصيرون) قال أبو محمد: ففسروا لا تبنوا ما لا تسكنون) يعني الأمل، ولا تجمعوا ما لا تأكلون) يعني الحرص، واتقوا الله الذي إليه تصيرون) يعني المراقبة [٤٦].

ويتحدث سهل التستري عن علامات المتوكل، فيقول: علامة المتوكل ثَلاث لا يسأل ولا يرد ولا يحبس، وقال سهل بن عبد الله عن التوكل: أول مقام التوكل، أن يكون العبد بين يدي الله عز وجل كالميت بين يدي الغاسل، يقلبه كيف يشاء وترك الأسباب إنما هو وبال [٤٧].

ومما يؤكد عليه سهل التستري إسقاط التدبير ويرى أنه من علامات الرحمة، والعبد إذا ابتلاه الله فازداد لله تواضعا وفقرا وسلم أمره إلى الله كان ذلك ابتلاء رحمه على حد تعبير سهل التستري، فيقول: البلوى من الله على وجهين: بلوى رحمة وبلوى عقوبة، فبلوى الرحمة تبعث صاحبها على إظهار فقره إلى الله تعالى وترك التدبير، وبلوى العقوبة تبعث صاحبها على اختياره وتدبيره [٤٨]

والفقر ليس بمعنى الحاجة والعوز إلى الناس وإنما هو مقام شريف، وسمى الصوفية فقراء لتخليهم عن الأملاك وحقيقته أن لا يستغني العبد إلا بالله، ورسمه عدم الأسباب كلها، والفقير نعته السكون عند العدم، والبذل والإيثار عند الوجود [٤٩]

رابعاً: الذكر:

ويرى التستري أن الذكر الدائم هو من أهم ما يتمسك به السالك في طريقه، فيجعل تعاليمه في التصوف قائمة على عدة أمور لعل من أهمها في الأساس الذكر الدائم؛ فمن خلاله يتذكر الإنسان يوم الميثاق في الأزل [٥٠] بل هو الزاد لمن أراد السفر إلى الله تعالى، قال في قوله تعالى: (مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) [آل عمران: ٩٧] قال: الزاد والراحلة، ثم قال: أتدرون ما الزاد والراحلة؟ فقالوا: لا. فقال: الزاد الذكر، والراحلة الصبر.

وفي حديثة عن التائب والمطيع والذاكر يفرق بينهما ويجعل لكل منهما ما يلزمه، فنجده يجعل الذكر ملازمًا للمطيع، ثم يبين أن الذاكر لابد أن يحرص مع ذكره أن يتقي العجب، قال: التائب يتقي المعصية ويلزم الطاعة، والمطيع يتقي الرياء ويلزم الذكر، والذاكر يتقي العُجب ويلزم نفسه التقصير [٥١].

وقد قال تعالى: (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِراتِ) قال: الذاكر على الحقيقة من يعلم أن الله مشاهده فيراه بقلبه قريباً منه، فيستحي منه، ثم يؤثره على نفسه وعلى كل شيء من جميع أحواله. وسئل سهل مرة أخرى: ما الذكر؟ فقال: الطاعة. قيل: ما الطاعة؟ قال: الإخلاص قيل: ما الإخلاص؟ قال: المشاهدة. قيل: ما المشاهدة؟ قال: العبودية. قيل: ما العبودية؟ قال: الرضا.

قيل: ما الرضا؟ قال: الافتقار. قيل: ما الافتقار؟ قال: التضرع والالتجاء سلم سلم إلى الممات [٥٢].

دخل على سهل التستري رجل وقال: يا أستاذ، أي شيء القوت؟ قال: الذكر الدائم، قال الرجل: لم أسألك عن هذا، إنما سألتك عن قوام النفس، فقال: يا رجل، لا تقوم الأشياء إلا بالله، فقال الرجل: لم أعن هذا، سألتك عما لا بد منه، فقال: يا فتى لابد من الله [٥٣] وتحدث التستري عن الذكر بعد أن شاهد وعايش أثر الذكر على القلب، كيف لا وهو الذي كان ملازما لورده من الأذكار منذ الصغر على يد خاله ونتج عن ذلك أن الذكر أصبح ملازمًا له ليس باللسان لكن بالقلب .

يروى لنا التستري حاله مع الذكر فيقول: قال لي يوما خالي: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ فقال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي. فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته، فقال: قلها في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك، فوقع في قلبي حلاوة. فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوة في سري. ثم قال لي خالي يوما: يا سهل، من كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهده لا يعصيه، إياك والمعصية [٥٤].

ولم يترك التستري ورده: الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي، لم يتركه طيل حياته، لقد كان هذا الورد شعاره حتى كان الجالس إلى سهل يكاد يسمع دقات قلبه كلمات ورده [٥٥].

وتحدث العلماء عن هذا الذكر، فقال المناوي [٥٦]: وله ذكر عظيم الشأن، جربه أهل العرفان، قال ابن عربي: دخلت به الخلوة ففتح لي به في ليلة واحدة، وفيه أسرار عجيبة، وأذواق غريبة، ومن أكثر ذكره حبب إليه الطاعات، وبغضت إليه المنكرات. قال بعضهم: ومن تعلق به لم يعجزه شيء من الموجودات، ومن ذكره كل ليلة سبع مرات وهو في فراشه، وجد له حلاوة في سره [٥٧]

ويحذر التستري من موانع اليقين، فلا يحصل العبد على أقل القليل من اليقين بل على حد تعبيره لا يجد العبد رائحة اليقين وفي قلبه سكون وطمأنينة إلى غير الله، قال سهل بن عبد الله: حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه سكون إلى غير الله تعالى [٥٨]، والسكينة: ما يجده القلب من الطمأنينة عند تنزل الغيب، وهي نور في القلب يسكن إلى شاهده ويطمئن، وهو مبادي عين اليقين [٥٩].

يسكن القلب إلى الله فينقطع عن العلائق ويتعلق بالخالق يقول: " إذا خلا العبد من الدنيا، وهرب من نفسه إلى الله وسقط من قلبه أثر الخلائق لم يعجبه شيء ولم يسكن إلى شيء غير الله قط، فالله مؤنسه ومؤدبه وكالئه وحافظه وجليسه وأنيسه: إياه يناجي وله ينادي وبه يستأنس وإليه يرغب وإليه يستريح، قال الله جل ذكره: طوبى لمن خلقته فعرفني ودعوته فأجابني وأمرته فأطاعني ورزقته فحمدني وأعطيته فشكرني وابتليته فصبر لي، وعافيته فذكرني ومدحني .

يقول: لا يكمل للعبد شيء حتى يصل علمه بالخشية وفعله بالورع وورعه بالإخلاص وإخلاصه بالمشاهدة والمشاهدة بالتبرئ مما سواه [٦٠]، والمشاهدة: هي رؤية الحق ببصر القلب من غير شبهة كأنه رآه بالعين، قال رسول الله ρ: "اعبد الله كأنك تراه" [٦١]. وأهل المشاهدة على ثلاثة أحوال: فالأول الأصاغر وهم المريدون يشاهدون الأشياء بعين العبر ويشاهدونها بأعين الفكر. والثاني الأوساط وهؤلاء قال فيهم الخراز [٦٢]: الخلق في قبضة الحق وفي ملكه، فإذا وقعت المشاهدة فيما بين الله وبين العبد لا يبقى في سره ولا في همه غير الله تعالى. والثالث ما أشار إليه عمرو ابن عثمان المكي [٦٣]: إن قلوب العارفين شاهدت الله مشاهدة تثبيت فشاهدوه بكل شيء، وشاهدو كل الكائنات به، فكانت مشاهدتهم لديه ولهم به، فكانوا غائبين حاضرين، وحاضرين غائبين، على انفراد الحق في الغيبة والحضور فشاهدوه ظاهرا وباطنا، و باطنا وظاهرا، وآخرا أولا، وأولا آخرا. كما قال Y: (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) سورة الحديد:٣ [٦٤]

قال سهل بن عبد الله لا يستحق إنسان الرياسة حتى يجتمع فيه أربع خصال يصرف جهله عن الناس ويحمل جهلهم ويترك ما في أيديهم ويبذل ما في يده لهم، ويقول أيضا: لا معين إلا الله ولا دليل إلا رسول الله ولا زاد إلا التقوى ولا عمل إلا الصبر [٦٥].

وقال التستري: أيما عبد قام بشيء مما أمره الله به من أمر دينه فعمل به وتمسك به فاجتنب ما نهى الله تعالى عنه عند فساد الأمور وعند تشويش الزمان واختلاف الناس في الرأي والتفريق إلا جعله الله إماما يقتدى به هاديا مهديا قد أقام الدين في زمانه وأقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الغريب في زمانه الذي قال رسول الله: «بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ» [٦٦] و يظل الإنسان عند التستري على العبادة والطاعة حتى يتحقق له اليقين ويستمر على ذلك إلى الممات يقول: أركان الدين النصيحة والرحمة والصدق والإنصاف والتفضل والاقتداء بالنبي ρ والاستعانة بالله على ذلك إلى الممات [٦٧].

الخاتمة

تناولت في هذا البحث المنهج الذي وضعه الحارث المحاسبي وسهل بن عبد الله التستري للوصول إلى اليقين، وهذا يعد منهجا وطريقا ليخرج به الإنسان من الشك والحيرة إلى اليقين، هذا المنهج أو هذه الخطوات العملية التي وضعها كلا من المحاسبي والتستري، لا يستطيع أن يخبر بها إلا القليل ممن لهم قدم راسخة أو تجربة حقيقية مع اليقين ، هذا أهم ما توصلت إليه في هذا البحث بجانب نتائج وحقائق أثبتتها الدراسة منها:

١- أن الصوفية قد اعتمدوا في تحقيق اليقين على أدلة القرآن والسنة وهذا ما ظهر واضحا في آراء ومواقف كلا من الحارث المحاسبي وسهل التستري.

٢- أن اليقين هو نور، وهذا النور يجعله الله تعالى في قلب العبد المؤمن، فإذا ملأ القلب بهذا النور أشرق وذهب ما فيه من ظلمة، وهذا الإشراق وهذا النور هو حياة القلب لأن الظلمة موت القلب

٣- أن أصحاب المنهج السني من التصوف الصحيح قد اعتمدوا على المنهج الوسطي المعتدل للوصل إلى الكمال الديني من خلال الروحانية العميقة للعبادات، والتماس الإيمان والمعرفة عن طريق التصفية والمكاشفة؛ وهذا ما ظهر عند كلا من الحارث المحاسبي وسهل بن عبد الله التستري .

٤- أن المحاسبي لم يضع اليقين في أعلى المقامات؛ بل جعل الصدق في اليقين أفضل من اليقين، وهي مرتبة أعلى من اليقين فقال: والصدق في اليقين أفضل من اليقين.

٥- أن التوبة ليست مجرد حال أو مقام ولكنها فرض واجب عند كبار الصوفية في طريقهم إلى الله، وأنها من أهم الوسائل لتحقيق اليقين وهذا ما أثبته سهل التستري.

الهوامش:

١() رسالة المسترشدين، ص:٣٨.

٢() الحارث بن أسد المحاسبي، فهم القرآن، تحقيق: د/ حسين القوتلي، ط٢: دار الكندي , دار الفكر – بيروت، ١٣٩٨هـ ، ص: ٣١٩.

٣() فهم القرآن، ص: ٣٠٢.

٤() الحارث بن أسد المحاسبي، شرح المعرفة وبذل النصيحة، تحقيق مجدي فتحي السيد ,ط١: دار الصحابة للتراث بطنطا،١٤١٣هـ ،١٩٩٣م، ص: ٥٥.

٥() آداب النفوس، ص: ١٠٣.

٦() آداب النفوس، ص: ١٠٣.

٧() آداب النفوس، ص: ١٠٣.

٨() عبد الرءوف محمود عبد الرءوف ، منهج الإمام المحاسبي في الوصول لليقين، بحث منشور حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، العدد :٩، سنة٢٠١٧م، ص: ٦٩٣ .

٩() آداب النفوس ص :١٠٣، ١٠٤.

١٠() آداب النفوس، ص: ١٠٤، ١٠٥.

١١() نفس المصدر.

١٢() أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط: دار السعادة مصر، ١٣٩هـ– ١٩٧٤م، ج:١٠، ص:٧٥.

١٣() سورة ص، الآية رقم: ٤٦.

١٤() جزء من حديث وهو :عن الحارث بن مالك الأنصاري , ت: أنه مر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: يا حارث، كيف أصبحت ؟ قال: أصبحت مؤمنا حقا قال: انظر ما تقول، إن لكل شيء حقيقة فما حقيقتك ؟ قال: ألست قد عزفت الدنيا عن نفسي، وأظمأت نهاري، وأسهرت ليلي، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها، يعني: يصيحون، قال: يا حارث، عرفت فالزم ثلاث مرات .

أخرجه: الطبراني في " الكبير " (٣٣٦٧)، والبيهقي في " شعب الإيمان " (١٠٥٩١)، من حديث الحارث بن مالك، به مرفوعا، وهو ضعيف. وأخرجه: البزار (٣٢)، والبيهقي في " شعب الإيمان " (١٠٥٩٠) من حديث أنس بن مالك، به مرفوعا. وهو ضعيف .

١٥() آداب النفوس ، ص: ٥٣ وما بعدها .

١٦() آداب النفوس، ص: ١٢٥.
١٧() نفس المرجع، ص: ١٠٩.
١٨() الوصايا، ص: ٢٨١.
١٩() الوصايا , ص: ٢٨٨.
٢٠() آداب النفوس ص: ١٢٥.
٢١() آداب النفوس، ص: ١٢٥.
٢٢() آداب النفوس، ص: ١٢٦.
٢٣() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج:١٠، ص:١٩٩.
٢٤() سهل بن عبد الله التستري، تفسير القرآن العظيم، ص: ٢٨٠.
٢٥() أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢: دار الكتب المصرية – القاهرة ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، ج :١٨ ص :١٦١.
٢٦() سهل بن عبد الله التستري، تفسير القرآن العظيم، ص: ٢٩٥.
٢٧() سهل بن عبد الله التستري، تفسير القرآن العظيم، ص: ٢٨٠.
٢٨() طبقات الصوفية، ص: ١٦٣.
٢٩() سورة النور، الآية رقم: ٣١.
٣٠() رواه مسلم، حديث رقم: ٢٥٧٧ .
٣١() رواه مسلم، حديث رقم: ٢٧٥٩.
٣٢() رواه البخاري، حديث رقم: ٦٣٠٧.
٣٣() رواه مسلم، حديث رقم: ٢٧٠٢.
٣٤() سورة البقرة، الآية رقم: ٢٢٢.
٣٥() سهل بن عبد الله التستري حياته وآراؤه، ص:٧٧، ٧٨.
٣٦() سهل بن عبد الله التستري، تفسير القرآن العظيم، ص: ٢٨١.
٣٧() سهل بن عبد الله التستري، تفسير القرآن العظيم، ص: ١٦٠.
٣٨() سهل بن عبد الله التستري، تفسير القرآن العظيم، ص: ١٦١.
٣٩() سهل بن عبد الله التستري، تفسير القرآن العظيم، ص: ١٦٠.
٤٠() سهل بن عبد الله التستري، تفسير القرآن العظيم، ص: ١٨٥.
٤١() سهل بن عبد الله التستري حياته وآراؤه، ص: ٨٠: ٨٢ .
٤٢() الرسالة القشيرية، ص: ١٨٣.

٤٣() سهل بن عبد الله التستري حياته وآراؤه، ص: ٨٠: ٨٢ .

٤٤() التجليات الروحية في الإسلام،ص: ١٥٥.

٤٥() سهل بن عبد الله التستري، تفسير القرآن العظيم، ص :١٣٣.

٤٦() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، جـ :١٠، ص:١٩٢.

٤٧() أبو عبد الرحمن السلمي، المقدمة في التصوف، تحقيق: يوسف زيدان، ط١: دار الجيل بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، ص:٣٧ .

٤٨() أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، جـ :١٠، ص:٢١١.

٤٩() عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، ص: ٢٠٧.

٥٠() التجليات الروحية في الإسلام، ص: ١٥٥.

٥١() سهل بن عبد الله التستري، تفسير القرآن العظيم، ص: ١٣٠.

٥٢() سهل بن عبد الله التستري، تفسير القرآن العظيم، ص: ٢٢٤.

٥٣() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، جـ :١٠، ص: ٢٠٨.

٥٤() عبد الكريم القشيري ،الرسالة القشيرية، ص: ٦٥.

٥٥() العارف بالله سهل بن عبد الله التستري حياته وآراؤه، ص: ٢١.

٥٦() محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين: ولد سنة ٩٥٢ من كبار العلماء بالدين والفنون انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، له نحو ثمانين مصنفا، عاش في القاهرة، وتوفي بها سنة ١٠٣١ هـ .انظر الأعلام للزركلي، جـ :٦، ص: ٢٠٤ .

٥٧() الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، جـ ١:، ص: ٦٤٦ .

٥٨() عبد الملك بن محمد الخركوشي، تهذيب الأسرار، ص: ٩٠.

٥٩() التعريفات، ص: ١٢٠.

٦٠() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، جـ :١٠، ص:١٩٥.

٦١() أخرجه مسلم في صحيحه.

٦٢() أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز من أهل بغداد صحب ذا النون المصري والسري وبشرا وغيرهم، مات سنة سبع وسبعين ومائتين. انظر الرسالة القشيرية ص: ٩٨.

٦٣() أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي صحب أبا سعيد الخراز وغيره شيخ القوم وإمام الطائفة في الأصول والطريقة مات ببغداد سنة إحدى وتسعين ومائتين. انظر: الرسالة القشيرية ص: ٩٠.

٦٤() عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، ص: ٢٤٤.

٦٥() طبقات الصوفية، ص: ١٦٨ و١٧٠.

٦٦() سبق تخريجه .

٦٧() طبقات الصوفية، ص: ١٧٠.

المصادر والمراجع

١ أبو عبد الرحمن السلمي، المقدمة في التصوف، تحقيق: يوسف زيدان، ط١: دار الجيل بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص:٣٧ .

٢ أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢: دار الكتب المصرية – القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٣ أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط: دار السعادة مصر، ١٣٩هـ-١٩٧٤م.

٤ جوزيبي سكاتولين و أحمد حسن أنور , التجليات الروحية في الإسلام، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ٢٠٠٨.

٥ الحارث المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، تقديم: د /عبد الحليم محمود، ط٣: دار المعارف ٢٠٠٣م .

٦ الحارث المحاسبي، فهم القرآن، تحقيق: د/ حسين القوتلي، ط٢: دار الكندي , دار الفكر – بيروت، ١٣٩٨هـ.

٧ الحارث بن أسد المحاسبي، آداب النفوس ،تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الجيل - بيروت – لبنان ،د :ت

٨ الحارث بن أسد المحاسبي، التوهم في وصف أحوال الآخرة، مكتبة التراث الإسلامي، د:ت

٩ الحارث بن أسد المحاسبي، المكاسب والورع والشبهة وبيان مباحها و محظورها واختلاف الناس في طلبها والرد على الغالطين فيه المحقق: نور سعيد، دار الفكر اللبناني – بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٩٢م.

١٠ الحارث بن أسد المحاسبي، رسالة المسترشدين، تحقيق عبد الفتاح أبوغدة، الناشر مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب – سوريا، ط٢: ١٣٩١ هـ – ١٩٧١م.

١١ الحارث بن أسد المحاسبي، ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه ،المحقق: حسين القوتلي الناشر: دار الكندي , دار الفكر – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٨هـ .

١٢ سهل بن عبد الله التستري، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد و سعد حسن محمد على، ط١: دار الحرم للتراث، القاهرة، ٢٠٠٤م . وط١: دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ١٤٢٣ هـ .

١٣ عبد الرءوف محمود عبد الرءوف ، منهج الإمام المحاسبي في الوصول لليقين، بحث منشور حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، العدد :٩، سنة٢٠١٧م.

عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، ط٢: دار المسيرة، بيروت، سنة ١٩٨٧م.